مَوعِدٌ مَعَ الْـمَلِكِ!

أ. أناهيد السميري حفظها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسّر لنا هذا اللقاء، ونسأله تعالى أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وأن يجعل تفرّقنا بعده تفرقًا معصومًا، اللهم آمين.

هذه كلمات بسيطة أذكّر بها نفسي وأذكركم بالمشهد العظيم الذي سننتقل إليه: مشهد يوم عرفة !

يوم عرفة!

وما أدراك ما يوم عرفة !

يومٌ يباهي فيه الملك سبحانه وتعالى بهؤلاء الخلق الذين أتوا إليه طائعين منكسرين!

يومٌ أكمل الله فيه الملة، وأتم به النعمة؛ حيث نزل فيه قول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} المائدة:٣.

يومٌ هو عيد أهل الإسلام، كما قال نبي الأمة صلى الله عليه وسلم: ((يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام)) [١].

يومٌ كان من فضله أن قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه: ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة)) [٢].

يومٌ كان من فضله أن جعله الله ركن الحج العظيم، فكان ((الحج عرفة)) [٣].

على صعيد عرفات يجتمع المسلمون من أصقاع الأرض ينتظرون عشيته بفارغ صبرهم وكامل استنفارهم، وحق لهم أن يفرغ صبرهم وحق لهم أن تستنفر قواهم؛ أليسوا على موعد مع الملك العظيم؟!

أليس قد دعاهم ملك الملوك؛ فلبوه رجالًا وعلى كل ضامر أتين من كل فج عميق!

ينتظرون أن يحل عليهم رضوانه في ذلك المساء الذي لا يشبهه أي مساء!

مساء يذكرهم بنعيم الجنة حين يدنو منهم الملك؛ فيتذوقون طعم القرب! وعلى قدر الحب ينعم القلب بالقرب!

مساء يتشرف فيه الحاج بشرف لو تذوقه في ذلك المشهد لذاب قلبه شوقًا إليه:

يقول الملك لملائكته: ((انظروا إلى **عبادي** أتوني شعثًا غبرًا)) [٤].

انظروا إلى (عبادي)! نسبهم ملك الملوك أمام ملائكته إليه!

ترى كم من حاج ذاق في تلك العشية طعم النسبة إليه!

---

[١] رواه أبو داود وصحح الألباني

[٢] رواه مسلم في الصحيح.

[٣] متفق عليه.

[٤] رواه أحمد وصححه الألباني.

لأجل تلك العشية ولأجل كل ما تنتظره فيها أيها الحاج؛ كان لا بد أن تحرك كوامن الحب والشوق لذلك اللقاء، وإن أعظم ما يفيدك في ذلك هو نبذة بسيطة من معرفة أوصاف الملك الذي ستلقاه، تسري في عروقك وتغذي بها روحك، وإن خير ما تعرفه به هو كلامه عز وجل حين يصف لك نفسه، وإن مِن أعظم المواطن التي وصف لك بها نفسه هي آية سورة الحشر: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

ما معنى لا إله إلا هو؟ ولماذا لا إله إلا هو ؟

الإله:

يعني تؤلّهه القلوب، تحبّه وتعظّمه، الألوهية أتت مِن الوله: شدّة المحبة مع شدة التعظيم، لماذا لا إله إلا الله، لماذا أملأ قلبي بمحبة الله وتعظيمه، ولا أحب وأعظم سواه ؟

لماذا أضع (لا) حارسة على قلبي من أن يدخله حب وتعظيم غيره؟

أتى الجواب مباشرة في الجملة التالية من الآية: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}[1]

لا إله إلا هو لأنه{الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} ؛ فمن ذا الذي يستحق[2] الحب والتعظيم سواه؟ من ذا الذي يملك مثل هذه الصفات؟

لكي تطمئن أيها العبد الضعيف إلى أنك تأوي إلى ركن شديد بدأ لك صفات ألوهيته بأنه الملك !

الملك:

المُلك صفة العظمة والكبرياء والقهر والتدبير، فله التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك ومضطرون إليه.

لم يُطلب منك أن تؤله إلهًا لا يملك نفعًا ولا ضرًا!

لم يُطلب منك أن تؤله إلهًا لا يملك موتًا ولا حياة ولا نشورًا !

لم يُطلب منك أن تؤله إلهًا لا يملك خزائن السموات والأرض، وله مقاليد كل شيء، وهو على كل شيء وكيل!

لم يطلب منك أن تؤله إلهًا لا يستحق التأليه؛ إنما قال لك: {**الله لا إله إلا هو الملك**}! وترك لفطرتك وعقلك وكل الآيات من حولك أن **تشهدك أنه ليس سواه ملك!**

[1] سورة الحشر : ٢٢، ٢٣، ٢٤.

[2] سورة الحشر : ٢٢، ٢٣، ٢٤.

لو ملك الخلق ما ملكوا؛ فإنما هو بعض ملكه، أذن لهم أن يتربعوا عليه إلى أجل محدود، ثم لو شاء أن ينزعه؛ ففي لمح البصر ينزعه منهم: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [١].

ثم ليستقر في فؤادك أن هذا الملك لا مثيل له تابع عليك أوصاف كماله، فثنى بأهم ما يلزم قلبك، ألا وهو **تقديس** ربك وتنزيهه عن كل نقص وسوء:

القدّوس:

أي كل صفاته صفات كمال، منزّه عن النقص أبدًا، وهذا يعني أنك عبْدٌ لِمَلِكٍ كل صفاته صفات كمال، فلا يأتينَّك الشيطان طامعًا أن يوقع في قلبك شعورًا بنقص في صفات مالكك أبدًا؛ فالملك الذي يعاملك قدّوس منزّه عن كل نقص وعيب، وصفاته كلها صفات كمال؛ بل هو :

السلام:

يعني سلام من أن تكون أي صفة كمال له فيها نقص.

أنت تقول بعد كل صلاة: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ)) [٢] يعني يا رب! يا ملك! أنا أشهد أن كل صفاتك صفات كمال، و أن صفات كمالك سالمة من كل نقص.

الخلق فيهم صفات كمال؛ فهناك مثلًا قضاة وصفهم أنهم أهل عدل؛ لكن هل عدلهم كامل مائة بالمائة؟ هل وسعوا الجميع بعدلهم فلم يخطئوا قيد أنملة؟

هناك أشخاص وصفهم الكرم؛ لكن هل كرمهم كامل مائة بالمائة؟ هل وسعوا الجميع بكرمهم، فلم يبخلوا مطلقًا؟

الجواب بلا شك: لا.

إذًا؛ كل الخلق وإن وصفوا بالكمال؛ فليست صفات كمالهم سالمة من النقص.

أما ربك الملك الذي أنت عبد له، فهو:

- **قدّوس**: كل صفاته صفات كمال.
- **سلام**: صفات كماله سالمة من أي نقص.

وأنت في عشية عرفة ستلاقي هذا الملك القدوس الذي صفاته صفات كمال، السلام الذي صفات كماله سالمة من كل نقص، ولأنه كامل الصفات فهو **يؤمنك** من مخاوفك، ويؤمنك من إخلاف ما وعدك:

---

[١] آل عمران:٢٦.

[٢] "صحيح مسلم" (كتاب المساجد / باب اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلاَةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ/ ١٣٦٢)

المؤمن:

- مؤمن يؤمّن عباده من المخاوف.
- مؤمن مصدّق لنفسه في كل ما وعد عباده:

○قال الملك: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[1] فإذا دعوته؛ فكن على يقين بأن المؤمن المصدق لنفسه في كل ما وعد عباده سيجيبك!

○وقال الملك: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[2] فإذا شكرته؛ فكن على يقين بأن المؤمن المصدق لنفسه في كل ما وعد عباده سيزيدك!

○وقال الملك: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}[3] فإذا اتقيته؛ فكن على يقين بأن المؤمن المصدق لنفسه في كل ما وعد عباده سيجعل لك مخرجًا! وقد قال ابن عباس: "لو انطبقت السماء على الأرض لجد المتقي بابًا يخرج منه!" لأن الله تعالى قال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}.

يقينك هذا مِن تمام إيمانك بأنه مَلِكٌ مُؤمِنٌ، يؤمّنك من كل المخاوف، مَلِكٌ مَؤمِنٌ مُصدِّقٌ لنفسه مصدِّقٌ لوعده، إذا وعد لا يخلف وعده أبدًا .

وأنت في عشية عرفة ستلاقي هذا الملك؛ فاستعدّ لدعائه بكل ما تعلم من وصفه أنه إذا وعد لا يخلف، وقد وعدك بالإجابة؛ فلا تشك في الإجابة!

إياك أن تظن في الملك سوءًا!

إياك أن تظن في القدوس كامل الصفات سوءًا!

إياك أن تظن في السلام الذي صفات كماله سالمة من أدنى شوائب النقص سوءًا!

إياك أن تظن في المؤمن سوءًا!

لا بد أن يجيبك ولو بعد حين؛ بل إنه يقدّر من الأقدار ألطفها ليأتيك مرادك بأحسن حال!

ألا ترى إلى رؤيا يعقوب عليه السلام كيف طال زمان تحقيقها، ثم أتت لهم كلهم في أحسن حال ؟!

فهذا ربك اللطيف الخبير، الذي يدبّر الأمر ليصل إليك الخير من حيث تشعر أو لا تشعر!

هذا الملك **المهيمن** المطلع على خفايا الأمور؛ فكيف يغفل عنك؟

---

[1] غافر : ٦٠

[2] إبراهيم : ٧

[3] الطلاق : ٢

المهيمن:

الشاهد على خلقه بأعمالهم، الرقيب عليهم، الحفيظ عليهم، القائم على شؤونهم، يعلم سرك وعلانيتك، يعلم الصالح لك من الفاسد، قد لا تنطق بما تريد؛ لكنه ينظر إلى ما قام في قلبك، هذا الملك الذي تعامله لا ينظر إلى لونك، لا ينظر إلى مستواك الاجتماعي، ولا إلى مستواك الثقافي: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[1] ينظر إلى ما قام في قلبك: {إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ} في قلوبكم {فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}[2] ؛ فإذا علمت ذلك كان لزامًا عليك حين تكون على موعد قريب من لقاء الملك **المهيمن** أن تصب كل جهدك على تطهير قلبك، لا تذهب لمقابلته بظاهر حسن وباطن فيه من سوء الظن به وبخلقه ما فيه، طهره من ظنون السوء و الأحقاد، يستحق هذا الملك أن تطهر له قلبك.

اعمل لأجل ذلك أعمالًا، استغفر استغفارًا، لبِّ تلبية،كبر تكبيرًا ؛ لأجل أن يطهر قبل الموعد قلبك، واعلم أن **من أعظم ما تستعد به لعشية عرفة هو التوبة؛ فكرر التوبة** لأجل أن ينظر المهيمن إلى قلبك؛ فيجده لا يبطن بين شعبه وحناياه إلا إرادة رضاه!

أرأيت كيف طفت حول الكعبة، وكيف سعيت بين الصفا والمروة؟ فليكن كذلك حول رضاه طواف قلبك، و ليكن كذلك حول رضاه سعيك!

أشهده عزمك على أنك ستكون من أهل التقوى إذا عُدتَ إلى بلدك، فهو أهل التقوى.

انظر لنفسك حين تحب أحدًا؛ ألست تخاف أن تفعل فعلاً تسقط به من عينه؟

فالله عز وجل أولى وأعز وأجل وأكرم، أهلٌ هو سبحانه أن تبقى حذرًا لأجل رضاه، تخاف أن تفعل فعلًا تخرج به مِن حماه؛ لأنك تعلم أنك إن خرجت من حمى الملك؛ فلا حمى هناك ولا مولى ولا نصير؛ فإلى حمى من ستخرج، وإلى من ستأوي وليس لك إلا الله، ولا **عزيز** سوى الله!

العزيز:

هو القوي الممتنع، فلا يغلبه شيء، الذي له عزة الامتناع، وعزة القهر والغلبة، وعزة القوة، وكلها له على أتم وجه وأكمله.

من هذا الذي بيده أن ينفع الله أو يضره؟! إذا ذهبت إلى لقاء العزيز؛ فلا تسمح لذرة في قلبك أن تمنن عليه وتستكثر!

لا تظن أنك تكثّر الجمع؛ فإن للعزيز عز وجل ملائكة يطوفون حول بيته المعمور في السماء، يدخله منهم كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه مرة أخرى!!

---

[1] رواه مسلم / تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه /٤٦٥٠

[2] الإسراء : ٢٥

غني سبحانه عن عبادتك، وأنت الفقير إليه!

بهذه النفسية السوية اذهب إلى لقاء العزيز، وبهذا الأدب اطلب منه!

ألا ترى إلى موسى عليه السلام كيف استقر تحت الشجرة وقال: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}[1]

فأدرَّ عليه الغني من الخيرات: زوج وعمل ومأوى!

فأظهر فقرك إليه، أظهر ذلّك وانكسارك وحاجة روحك وقلبك وبدنك إليه! لأنك إن لم تُظهر ذُلّك وانكسارك للملك العزيز؛ فلا بد ولاشك ستظهره للعبيد، ستقف على أبوابهم إذا لم تقف على بابه، وستتلقى منهم من الإهانات ما هو جديرٌ بنقصهم: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ}[2] .

عزّك وفخرك أن تكون عبدًا بين يدي العزيز الذي لا يبلغ أحد من الخلق نفعه فينفعه، ولا يبلغ أحد من الخلق ضرّه فيضرّه، من هذا الذي نفع يومًا ربه؟! كل العباد إليه فقراء، وهو سبحانه وتعالى عن كل العباد غني، صنع سبحانه مأدبته، وأرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم داعيًا إليها؛ فالجنة مأدبته، والنبي صلى الله عليه وسلم داعٍ إلى هذه المأدبة، والخاسر من ترك باب الوصول إلى هذه المأدبة!

هذا هو الملك الذي ستلقاه عشية عرفة؛ فلا تلام إذا استنفرت بكل قواك استعدادًا للقائه؛ بل تلام إن قصرت في ذلك، وإن أحدنا إذا دعي من قِبل ملك من ملوك الدنيا لا ينام الليل من الاضطراب !

يشغله التفكير بـ: ماذا يقول، وماذا يريد، وكيف يتصرف، وكيف يتأدب حتى يمنع عن عيونه لذة الإغماض!

فإذا كان ملك الملوك وعدك هذه العشية اللقاء؛ فكيف يفترض أن يكون حال قلبك؟!

ألا أيها المؤمن الحاج! مَن على وجه البسيطة أُكرم مثل إكرامك؟!

ألا أيها المؤمن الحاج! لا تلام إن هتفتَ بكل ذرة فيك: لبيك اللهم لبيك! إنما تلام إن لم تهتف بذلك!

ستخسر الكثير من غالي المشاعر إن فاتك اليوم معنى لبيك!

لبيك هذه ليست أي كلمة، لبيك هذه لا يقولها المرء إلا لمن يحبه غاية الحب، فهي تجمع بين ثلاثة مفاهيم عظيمة: المحبة، والانقياد، والاستجابة !

لبيك تعني أنني من شدة محبتي لك أتيت ألبي نداءك !

أتيت ألبي نداءك تلبية المحبّ المستجيب المنقاد، العازم على الاستمرار في هذا، الذي لا يخفي في خبايا نفسه نية أن يستجيب الآن هذه الاستجابة؛ ثم ينتكس؛ فلقد فهمت ووعيت قولك تعاليتَ في سورة الحج: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ} : كان محفوظًا بتوحيده في السماء؛ فإذا تشتت قلبه وتمزع :{فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[3] ، وأنا لا أريد أن تخطفني الطير، ولا أن تهوي بي الريح في مكان سحيق!

---

[1] القصص : ٢٤

[2] الحج : ١٨

[3] الحج : ٣١

لذلك أيها المؤمن الحاج احذر ثم احذر أن تأتيك عشية يوم عرفة وعظمة الملك الذي ستلقاه لم تمنع عنك بعدُ تشتت قلبك مع العبيد، وقد ضرب لك سبحانه وتعالى في سورة الزمر مثلًا عجيبًا يعرفك شقاء التشتت ونعماء التوحيد، فقال عز من قائل:{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} :[1]

١. رجل فيه شركاء متشاكسون،

كانت العرب يتفق مجموعة منهم على شراء عبد واحد، فيكون لهذا العبد سادة كثر، وفوق هذا ليسوا على رأي واحد؛ بل هم متشاكسون؛ فهو يبذل جهده ليرضي الأول فيغضب الثاني، فيبذل جهده ليرضي الثاني فيغضب الثالث، وبهذا لا يكاد يقر له قرار.

٢. ورجل عبد لسيد واحد؛ فهو يعرف ما يرضيه فيأتيه، ويعرف ما يغضبه فيتجنبه، دون أن تُشتِّت قلبه وتمزِّعه كثرة الإرادات والطلبات.

ثم يسأل ربنا: هل يستويان؟ مؤكد أن هذين العبدين لا يستويان، لذلك قال سبحانه بعدها: {الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون} ٢٩الزمر.

ضع هذا المثل أمام عينيك، وانظر لحالك وقلبك؛ فإما أن تكون في تلك العشية:

١.عبدًا فيه شركاء متشاكسون: (اتصالات، ومكالمات، ومشاورات، و...الخ)، فيتشتت قلبك خلف الشركاء المتشاكسين ويتمزع .

٢. أو عبدًا لملك واحد لا شريك له، فتهدأ نفسك، ويستقر قلبك، وتعرف كيف ترضي مالكك.

احذر أن تأتي هذه العشية وأنت من صنف مَن فيه شركاء متشاكسون، واجمع قلبك على ملك واحد، وانتظر منه الخير جزاء توحيدك.

اعمل أعمالًا لذلك اليوم؛ استعد من الآن: اذكر، لبِّ، قم الليل، سبّح، **اجمع** أعمالًا من أجل أن يكون الجزاء أن ييسّر الله لك **جمع** قلبك عشية يوم عرفة، لا تكن الآن متشتتًا؛ ثم تتوقع أن تجد نفسك يوم عرفة باكيًا داعيًا ذاكرًا!

ولا تنس في ذلك اليوم أن تجعل أكثر دعائك: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)؛ فهذا الذكر ذكر ودعاء، ووجه كونه ذكرًا ودعاءً هو أنك الآن بين يدي الملك، فأنت تذكره، وتترك له أن يعطيك بما يناسب عظمته!

ولنضرب لذلك مثالًا:

لو قيل لرجل: ادخل على الملك واطلب منه أعلى ما تريد، فطلب (مليونًا)، وطُلب من رجل آخر الأمر نفسه؛ فقال للملك: أنا أيها الملك أطلب منك ما يناسب عظمتك!

---

[1] الزمر : ٢٩

أيهما أبلغ في الطلب؟ مؤكد أنه الثاني.

هذا مثل وقوفنا عند باب الملك سبحانه وتعالى – وله المثل الأعلى-؛ فمؤمن يقول: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)): أنا أشهد أن لا إله لي إلا أنت وحدك، أعبدك ولا أشرك بك شيئًا، أطلبك ولا أنكسر إلا بين يديك، ولا أفتقر إلا إليك، وأنت المستحق لعبادتي؛ لأن لك الملك كله، ولك الحمد كله، وأنت على كل شيء قدير، أنت المطلع على ما قام في قلبي من فقر إليك؛ فأعطني يا رب ما يناسب عظمتك وحكمتك وأوصاف كمالك!

ومؤمن يصف له: يارب بيتي، يا رب زوجي وأولادي..!

هناك فرق! وفي كلٍّ خير؛ فهذا لا يمنع أن تطلب ما شئت؛ لكن لا بد أن تعرف أن الكمال وخير الدعاء ما أخبرك به نبيك صلى الله عليه وسلم: ((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[1] لأن في هذا ثناء على الله، واعتراف بأنه هو وحده الذي يدلك على الصواب، هو وحده الذي يقدّر خيرك؛ يعطيك فيبارك لك، ولا يفتنك بما أعطاك؛ وأما الطمع؛ فهو في الغفران!

وأما الطمع؛ فهو في حسن الختام !

وأما الطمع؛ فهو في لقيا النبي صلى الله عليه وسلم على الحوض والسقيا من مائه الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل!

وأما الطمع؛ فهو في مجاوزة الصراط، ودخول الجنات!

وأما الطمع؛ فهو في رؤية وجه الملك العظيم –الذي جئناه اليوم ملبين– في البكور والعشيات!

فاجعل مطامعك أيها الحاج اليوم عالية، واجمع الدنيا كلها في كلمة واحدة :{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} لا تحتاج الدنيا أن تفصل في مطامعها، وفر وقتك الآن للمطامع العاليات!

اختر لنفسك من تكون من هؤلاء الأصناف الأربعة الذين وُصفوا في آخر الكلام عن الحج:

١) {فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} ، فهذا شخص لا يريد إلا[2]الدنيا.

٢){وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} ، وهذا شخص جعل[3] الدعوات ثلاثًا؛ فأعطى الثلث للدنيا: :{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}، وأبقى فكره منشغلًا بالآخرة؛ فأعطاها من دعائه الثلثين: {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً * وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

٣){وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } ، وهذا شخص له صورتان؛ صورة أمام الناس تمثل أنه الطائع المحب المنكسر، وصورة من الداخل تنبئ أنه كذاب .

---

[1] رواه الترمذي (كتاب الدعوات/ باب فِي دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ)، وحسنه الألباني.

[2] البقرة : ٢٠٠

[3] البقرة : ٢٠١

[4] البقرة : ٢٠٤

٤){وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} ، وهذه هي الحالة الكاملة![1]
وقد وصفوا لك لتحذر من أن تضع نفسك في غير موضعها في الحج وبعد الحج، واعلم أنه لا بأس أن تطلب الدنيا والآخرة؛ ولكن كمّل نفسك بإرادة الآخرة؛ لأن الدنيا كلها غمضة عين؛ فاجمعها كلها في كلمة واحدة: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} ووجه همك في باقي دعائك للآخرة : {وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، ثم رقِّ نفسك لتكون ممن: { يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}. ولا يكلفك الله فوق طاقتك.

أخبرك الله تعالى في سورة الحج أن حال الناس يوم يرون زلزلة الساعة { تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ}[2] فكأنه يقال لك: أيضًا في يوم لقاء الملك اذهل عن كل شيء من دنياك، وانشغل بتعظيمه، لابد أن يقع في قلبك تعظيمه، لتبقى لاهجًا بذكره ، مُثنيًا عليه، يُذْهلك أنه اصطفاك من بين ملايين الخلق للوقوف بين يديه!

لابد أن تكون ممن آمَن بالغيب وعلم يقينًا أنه سبحانه وتعالى نزل في هذه العشية إلى السماء الدنيا؛ فترى بعين بصيرتك قُرْبه سبحانه وتعالى وكمال صفاته!

ولكن ليس كل قلب يرى! وإنما القلوب قلبان: قلب بصير، وقلب أعمى، والبصر عند الناس درجات، فنسأل الله تعالى أن يبصر قلوبنا ويرينا عظمته سبحانه وتعالى في كل شيء، وأن **يجبرنا** بجمع قلوبنا في ذلك الموقف العظيم؛ فإن من أوصاف كماله **الجبر**:

الجبّار:

- هو الجبار جبر القوة الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله وجبروته وفي قبضته، فإذا انكسر قلبك من الجبّارين جبرك وقصمهم.
- وهو الجبار جبر الرحمة، فإنه سبحانه يجبر الضعيف بالغنى والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله، فهو وحده جبّار القلوب، وكلنا قد جئناه اليوم بآلامنا وأحزاننا ونقائصنا وعيوبنا، لا نطرق بابًا غير بابه، ولا نسأل جبرًا لكسرنا غيره، لعلمنا أنه لا يجبرنا إلا هو.
- وهو الجبار جبر العلو، فإنه سبحانه فوق خلقه عال عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم.

لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يقصموك؛ قصمهم الجبّار سبحانه وتعالى، فماذا تريد؟!
ألست تريد أن تأوي إلى ركن شديد ؟! ليس هناك من ركن شديد إلا ركن الملك الذي تعرفه وتردّد اسمه وتقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ} . ألست تقول أنه صمدك[3] وملجؤك ومولاك؟!

[1] البقرة : ٢٠٧
[2] الحج : ٢
[3] الإخلاص : ١، ٢

ألست تكرر على نفسك أنه وحده لا شريك له وها أنت أتيت ملبيًا له بالتوحيد؟

ألست تقول ((لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ))[1] لم يأتِ قلبي لأحد غيرك؛ فلا تقل كلامًا بلسانك وهو غير مستقر بجنانك.

لا تطف وأنت تفكر في فلان وفلان! كما يفعل الكثير في طواف الوداع؛ يطوف الحاج وهو يفكر في الطيارة وفي الهدايا وفي الأولاد والأحفاد!

طُف وأنت تدور حول رضاه، قلبك معلق به، خصوصًا في طواف الإفاضة الذي يفترض أن يكون مختلفًا عن طواف القدوم؛ وذلك لأنك تطوفه بعد رجوعك من مقابلة الملك!

قابلت الملك في الحِل في عرفة، فباهى بك ملائكته؛ لأنك أتيته طاهر القلب،

ثم بعد عرفة أذِن لك بالازدلاف (بالقُرْب)؛ فدخلت مزدلفة.

ثم ذهبت إلى مِنى مكان الْمُنى، فأرقت الدِّماء تقربًا إليه سبحانه.

ثم أذِن لك بعد هذا الطُّهر أن تطوف حول بيته؛ فلا بد أن يكون طواف الإفاضة مختلفًا عن طواف القدوم.

أما يوم العيد، فما أدراك ما يوم العيد؟! هو أعظم أيام الدنيا، وقد ورد في الحديث أن ((أَعْظَمُ الأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ))[2] ويوم النحر هو يوم العيد، ويوم القر هو اليوم الحادي عشر، يوم أن نستقر، وأكثر عمل تقوم به في يوم النحر هو أن تبقي لسانك ذاكرًا لاهجًا، بالتكبير لهذا الملك الذي أكرمك بلقائه، وباهى بك ملائكته.

ثم أيام التشريق في منى، وهي ((أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ))[3] ، نأكل ونشرب لكي نتقوى على ذكر ربنا، وكأنّ عبدًا قابل الملك؛ فرضي عنه؛ فسمح له بالقرب وقربه، ولما قضى ما عليه أو قارب أراد منه أن يأكل ويشرب ليتقوى على ذكره الذي هو من أعظم الأعمال وأحبها إليه.

ولو نظرنا لأهل الجنة لرأينا أنهم يدخلون الجنة ضُحًى، كما أن أهل الموقف يَصِلون مِنى ضُحًى! فلو أننا اتبعنا السنة وبِتْنا في مزدلفة ودعونا حتى نسفر جدًا، لا نصل منى إلا ضحى، فيوافق وقت وصولنا لمنى وقت دخولهم للجنة –نسأل الله من فضله– وتوافق أفعالنا أفعالهم، فهم يفعلون في الجنة هذه الأفعال الثلاثة: يأكلون، يشربون، يذكرون، بل إنهم يُلهمون الذكر كما يُلهمون النَفَس!

فكن في هذه الأيام أكثر لله ذكرًا من ذي قبل، ولا تفعل كما يفعل بعض الناس في رمضان حين يقال لهم أن ليلة سبع وعشرين هي أرجى أن تكون ليلة القدر؛ فيعبدون الله إلى تلك الليلة، ثم في بقية الأيام يتوقفون عن عبادته!

---

[1] "صحيح البخاري" (كتاب الحج/ باب التلبية/ ١٤٤٨).

[2] رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

[3] رواه مسلم (كتاب الصيام/ باب تَحْرِيمِ صَوْمِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ).

ليس هكذا يعامل الملك **الكبير المتكبر**، ولا شك أنك بعد أن عرفته سيقع في قلبك أنه الكبير **المتكبر**، فتستمر في ذكره:

المتكبّر:

أي ذو الكبرياء والعظمة، فالكبرياء وصفه المختص به، فليس لأحد من المخلوقين أن ينازعه في ذلك، المتكبر عن السوء والنقص والعيوب لعظمته وكبريائه.

الملك الكبير العظيم، متكبّر بلا شك عن كل نقص، و بعد أن رأيت آثار كبريائه، ورأيت كيف أتته هذه الجموع الغفيرة من كل فج عميق، طائعة مختارة؛ ستكثر لاشك من تكبيره، الله أكبر من كل طاعات الطائعين؛ فليلهج بـ: (الله أكبر) لسانك، واعلم أن الحجاج يقصُرون الصلاة ولا يصلون العيد لأجل أن يشتغلوا بمناسك الحج، فلا تنشغل عن الذكر، لا تظن أنه ينتهي حجك حين تجلس في منى، فكثير من المخيمات يقعون في خطأ كبير حين يشغلون الحجاج عن العمل العظيم في يوم العيد وما بعده، فهذه الأيام أيام عبادة، أيام ذكر وتكبير، تأكل وتشرب لتتقوى على الذكر والتكبير؛ فلا يفتر لسانك عن تكبيره، ولا يفتر قلبك عن تعظيمه، قد علمت أن الملك كامل الصفات؛ فيفترض أن تعود أكثر ذِكْرًا له، أكثر شُكْرًا له، أكثر انكسارًا له.

ذهبت فقابلت الملك، وعلمت أنه القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، فكان حريًّا بكل هذه الأوصاف أن توقع في قلبك تكبيره، وانظر كيف انتهت أسماؤه هنا باسم **المتكبر**؛ فليبق لسانك يكبر، وليبق قلبك يكبر.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهى اللقاء ولله الحمد.

